عيب التعقيد الوصفي

وأثره في فصاحة الكلام (دراسة وصفية بلاغية)

The Defect of Descriptive Complexity and Its Impact on the Eloquence of Speech (A Descriptive Rhetorical Study)

الدكتور: الأمين الطيب الطاهر
أستاذ مشارك – جامعة وادي النيل

مستخلص الدراسة:

تناولت هذه الدراسة التعقيد الوصفي, أحد أنواع التعقيد, التي فيها اللفظي, والتعقيد والمعنوي, وتهدف الدراسة إلى معرفة التعقيد الوصفي وبيان حدوده, لأن عيب التعقيد قسَّمه العلماء إلى قسمين: تعقيد لفظي وتعقيد معنوي, وعرَّفوا القسمين, لكن دخل فيهما من الشواهد ما ليس منهما لكنه من التعقيد, فكان لابد من قسم آخر للتعقيد, لذلك جاءت هذه بدراسة التعقيد الوصفي, وقد سارت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي.

وخرجت الدراسة بعدد من النتائج أهما:

1- أن التعقيد الوصفي من عيوب فصاحة الكلام.

2- إن التعقيد الوصفي يمثل القسم الثالث من أقسام التعقيد.

الكلمات المفتاحية:

التعقيد الوصفي واللفظي والمعنوي- فصاحة الكلام

Abstract

This study is undertaken the (Descriptive Complexity) which is the one of the types of complexity, Abstractive and verbal complexity, the aim of the study knows about Descriptive Complexity, because the scientists divided complexity defect into two types Abstractive and verbal complexity, and defined the two types, but another defect appears, so there must be other types of complexity, so this paper is going to study the Descriptive Complexity, in a descriptive and analytical methodology.

This study includes the following:

1. The Descriptive Complexity defect is one of eloquence.
2. The Descriptive Complexity defect is the third type of complexity.

Keywords: Descriptive, Verbal, and Semantic Complexity - Eloquence of Speech”

مقدمة:

اللغة العربية هي لغة الوحى نزل بها أعظم كتاب من الله تعالى للبشر موجهاً لهم لصلاح دنياهم وأخراهم, وهو المعجز علماً وبياناً. ومنه قامت الدراسات البيانية تتفكر في سحره, فكانت البلاغة تقف على عجائب إعجازه وبلاغته وفصاحته.

وكانت الفصاحة تُدرَّس لتحصن اللغة فوقفت وفصَّلت كل ما يُعيب الكلام والكلمة والمتكلم واشترطت لفصاحة الكلام سلامته من عدة عيوب بعد أن تكون كلماته فصيحة, ومن هذه العيوب "التعقيد" وبطول البحث انقسم عيب التعقيد إلى "لفظي ومعنوي" وحسب درسه ومدارسته وشواهده يمكن أن يكون له قسم ثالث وهو "التعقيد الوصفي" وسنقف عليه هذه الدراسة بالبحث والتفصيل.

مشكلة الدراسة:

ظهرت مشكلة الدراسة أثناء البحث في عيوب فصاحة الكلام, وفي عيب التعقيد فقد قسَّمه العلماء إلى قسمين لفظي ومعنوي, لكن دخل في هذين القسمين ما لا تنطبق عليه القاعدة لكن هو تعقيد, فكان لابد من إيجاد قسم آخر طالما توافرت مقومات القسم.

تساؤلات الدراسة.

1- ما هي عيوب فصاحة الكلام؟

2- ما هي أقسام عيوب التعقيد؟.

3- ما هو التعقيد الوصفي؟

4- هل التعقيد الوصفي له حدود واضحة؟

أهداف الدراسة:

1- معرفة عيوب فصاحة الكلام.

2- معرفة التعقيد.

3- معرفة أنواع التعقيد.

4- معرفة عيب التعقيد الوصفي.

أهمية الدراسة:

تأتى أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول موضوعاً مهماً وذلك لأنَّ شواهده كانت متفرقة على العيوب الأخرى, وهي فيها غريبة.

منهج الدراسة:

تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

1- خصائص الوصف في الشعر الجاهلي: **ضحى حمادة. آخر تحديث 2012/12/29م www.almnal.com >post**

عرَّف الوصف وذكر إنَّه يدخل في كافة فنون الشعر - كما ذكر - مثلاً المدح: هو وصف محاسن الشخص ونبله, الهجاء: وهو وصف سوءات المهجو وإبراز عيوبه ونقائضه, الرثاء: وهو وصف محاسن المتوفى وتصوير آثاره, وقد ذكر أسباب انتشار الوصف في الشعر الجاهلي: وصف الحيوانات, وصف الطبيعة المتحركة, وصف الأوابد... وغيرها. وقد ذكر في هذا الكتاب عدد كبير من الشواهد.

2- الوصف في القرآن الكريم (دراسة بلاغية): **موسى سلوم عباس, دار الكتب العلمية, 2007م, منشورات محمد على بيضون.**

تحدَّث الكتاب عن الوصف في القرآن الكريم, دراسة تحليلية, حيث ذكر المؤلف أنواع الوصف القرآني, وبيَّن الملامح البلاغية والفنية والجمالية والأسلوبية.

3- الوصف في الشعر: **عبد العزيز الصعب, خزاميات الأربعاء 2010/12/20م العدد 15185.**

تحدَّث فيه الكاتب عن الوصف في الشعر الجاهلي وعن وصف الشعراء في هذا العصر, والموضوعات التي كثر فيها الوصف, وإن شعر الوصف الآن اتجه إلى المرأة بشكل عام. وأورد الكاتب بعض النماذج الشعرية.

4- وصف المؤنث بالمذكر: **حسانين أبو عمر, شبكة الفصيح, علوم اللغة العربية 2009/12/25م. show the read www.alfaseeh.com.**

تحدَّث الدراسة بالتفصيل عن المذكر وأوصافه وعن المؤنث وأوصافه وعن أوصاف المذكر التي تنطبق على المؤنث, وأورد عدداً من الشواهد. وقال: "إن أصل المذكر عندهم أن يسمى بالمذكر وهو شكله والذى يلائمه.)

5/ الصفات التي تستوى فيها المذكر والمؤنث: **عبده الراجحي, دروس في المذاهب النحوية, 2015/3/3م. reading, www.almerja.com**

تمهيد:

اللغة هي نعمة وفضل من الله تعالى, علَّمها لآدم عليه السلام, وتوارثها بنوه, قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: 31, 32, 33).

ومن هذه اللغات, اللغة العربية, وهي أشرفها, بها نزل أعظم كتاب, وبها جاء الاعجاز ولها كان الحفظ.

ولعظمة هذه اللغات نشأ الدرس والبحث والتنقيب في علومها المختلفة: الأدب والنحو والبلاغة.

فالبلاغة هي الوصول والانتهاء, ولها تعريفات كثيرة عند علماء البيان, منها قول أبو هلال العسكري: ((البلاغة هي تبليغ ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن.))(العسكري, 1419, ص 10), ومن تعريفاتها قول السكاكي: ((البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفيه خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها.))(السكاكي, 1987, ص 415).

والكلام لا يكون بليغاً ويصل إلى منتهى الإفهام حتى تتحقق فيه الفصاحة أولاً, لأنَّ الفصاحة شرط من البلاغة.

والفصاحة تعنى البيان والظهور, ومن تعريفاتها عند علماء البلاغة ما أورده السيد الهاشمي: ((الفصاحة في اصطلاح أهل المعاني عبارة عن الألفاظ البيّنة الظاهرة المتبادرة إلى الذهن والمأنوسة الاستعمال بين الكُتاب والشعراء لمكان حسنها.))(الهاشمي, 1999, ص 19)

والفصاحة تكون وصفاً للكلمة المفردة, وللكلام المركب وللمتكلم. فصاحة الكلمة تتحقق بسلامتها من أربعة عيوب هي:

1- تنافر الحروف. 2- غرابة الاستعمال.

3- مخالفة القياس. 4- الكراهة في السمع.

وفصاحة الكلام تتحقق بأمرين:

الأول: أن تسلم مفرداته من عيوب فصاحة الكلمة الأربعة.

الثاني: أن يخلو من عيوب فصاحة الكلام وهي:

1- تنافر الكلمات مجتمعة 2- ضعف التأليف.

3- التعقيد اللفظي. 4- التعقيد المعنوي.

5- كثرة التكرار. 6- تتابع الإضافات.

وعيوب التعقيد ذُكرت في كتب البلاغة مجملة منذ بداية التأليف فهذا الجاحظ يقول: ((إيَّاك والتوعر, فإنَّ التوعر يسلمك إلى التعقيد وهو الذى يستهلك معانيك.))(الجاحظ, 1423, ج1 ص129), فهذا التعقيد الذى يتحدث عنه الجاحظ, قُسم بعده إلى التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي. التعقيد اللفظي خفاء ناتج غالباً من عدم ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني ولعل الجرجاني قصده بقوله: ((وأما التعقيد, فإنما كان مذموماً لأجل أنَّ اللفظ لم يرتب الترتيب الذى بمثله تحصل الدلالة على الغرض حتى احتاج السامع إلى أن يطلب المعنى بالحيلة ويسعى إليه من غير الطريق.))(الجرجاني, (1998), ص142).

وفي تعريف للتعقيد اللفظي هو: كون الكلام خفى الدلالة على المعنى المراد به, حيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وقف ترتيب المعاني بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو إضمار أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور.

ومن تعريفات التعقيد المعنوي ما ذكره القلقشندي في كتابه بقوله: ((ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد بخلل في إنتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى الثاني المقصود, لإيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلى الوسائط الكثيرة, مع خفاء القرائن الدالة على المقصود.))(القلقشندي, (1922), ج2, ص 286)

ومن هذه التعريفات ومن دراسة مفصَّلة للتعقيد اللفظي والمعنوي, وفي دراسة سابقة عرَّفنا التعقيد المعنوي بـ: كون الكلام خفى الدلالة على المعنى المراد, لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني المقصود, بحيث يكون ادراك المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم, لدلالة الكلام عرفاً على معنى ثالث غير مراد, مع عدم وجود قرينة.

ومن تعريفات علماء البلاغة للتعقيد بقولهم: "هو أن يكون الكلام خفى الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فيه."

التعقيد اللفظي: وهو يقوم على خفاء المعنى الناتج من عدم ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني.

التعقيد المعنوي: وهو يقوم على خفاء المعنى بسبب إيراد اللوازم البعيدة, وعدم وجود القرائن لانتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني المراد, لدلالته – عرفاً – على معنى ثالث مجازى أو كنائي, غير مراد.

وبعد تعريف نوعى التعقيد "اللفظي والمعنوي" ومن خلال دراسة شواهد التعقيد, نجد أن منها شواهد يمكن أن تكون نوعاً ثالثاً, يمكن أن يُسمى "التعقيد الوصفي" وستناوله بالتفصيل في هذه الدراسة.

تعريف التعقيد الوصفي:

التعقيد لغة: من عَقَدَ وعَقَّد يُعَقِّد تَعْقيداً, والعقدة جاءت في القرآن الكريم بمعنى العجمة, قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي*يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾(طه: 27, 28), و"عقد" وتصاريفها تدل على الشدة, جاء في مقاييس اللغة: ((العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدَّ وشَدَّة وتوُق, وإليه ترجع فروع الباب كلها.))(ابن فارس, (1979), ج4 ص 88), وجاء بمعنى التعمية والإلتواء يقول صاحب الجمهرة: ((عقَّد الرجل كلامه تعقيداً إذا عماه وأعوصه, وجاء فلان عاقداً عنقه إذا لواها تكبراً.))(ابن دريد, 1987, ج2 ص 661), الشيء المعقَّد الكثير والمغمض, جاء في الصحاح: ((العَقدُ والعقدُ بالفتح وتعَقَّد الرملُ والخيط وغيرها, وخيوط معقَّدة شُدد للكثرة, وكلام مُعقَّد أي مغمض.))(الجوهري, 1987), والعقد نقيض الحل, عَقَده يَعْقِده عَقْداً وتعاقداً, أنشد ثعلب:

لا يمنعك من بغاء الخير تعقاد التمائم

(ابن منظور, 1414, ج3 ص 296)

وتعقيد الكلام عدم وضوحه وبيانه, جاء في شمس العلوم: ((كلام مُعقَّد أي غير بيّن.))(سعيد, 2007, ج7, ص4679)

الوصفي لغة:

الوصفي من الوصف: ووصف يصف وصفاً, ووصف الشيء نعته, قال الفراهيدي: ((وصف: الوصف وصفك الشيء.. نَعْته, ويُقال للمُهر إذا توجَّه لشيء من حسن السيرة قد وصفه معناه: أنه المَشيْ أي وصفه لمن يريد منه: ويُقال: هذا مُهْرٌ حيث وصف.))(الفراهيدي, 2007, ج7 ص 162), والصفة كذلك تعنى الأمارة في الشيء, جاء في مجمل اللغة: ((وصف: وصفت الشيء أصفه وصفاً, والصفة الأمارة اللازمة للشيء, كما يُقال: وزنه وزناً, والزنة: قدر الشيء, ويُقال: اتصف الشيء في عين الناظر, إذا حمل الوصف.))(ابن فارس, 1986, ج1 ص 927), وجاء في لسان العرب:

((وصف: وصف الشيء له وعليه وَصْفاً وصِفة: خلاه: والهاء عوض من الواو. وقيل الوصف المصدر, والصفة الحلية, قال الليث: الوصف وَصْفُك الشيء بحليته ونعته.. وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: 112) أراد ما تصفون من الكذب))(ابن منظور, 1414, ج9 ص257), وجاء في مختار الصحاح: (("و ص ف": وصف الشيء من باب وَعَدَ وصفه أيضاً. وبيع المُوَاصَفة بيع الشيء من بصفة من غير رؤية.. والصِّفَةُ العِلم والسواد.))(عبد القادر, 1999, ج1 ص 340)

التعقيد الوصفي يكون معناه في اللغة صعوبة والتواء وخفاء في وصف الشيء.

التعقيد الوصفي اصطلاحاً:

هو: كون الكلام خفى الدلالة على المعنى المراد, لخلل في ايراد وصف لا يكون للموصوف المراد لا عرفاً ولا عادة, كإطلاق وصف المذكر على المؤنث, ووصف المؤنث على المذكر, وكإرجاع ضمير المذكر للمؤنث, وإرجاع ضمير المؤنث للمذكر, بدون قرينة توضح المراد.

وسنتناول هذا التعريف بالتفصيل والشرح وايراد الشواهد:

قول التعريف(كون الكلام خفى الدلالة على المعنى المراد...)

الكلام الأصل فيه والغاية منه أن يوصل مراد المتكلم إلى ذهن المخاطب ويفهمه ويصل إليه بغير لبس ولا غموض, فإذا كان في الكلام خفاء أو عدم وضوح مقصود من المتكلم بأن تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني, يكون هذا تعقيد لفظي, وإذا كان الكلام يدل على معنى متعارف عليه غير المعنى الذي يريده المتكلم, يكون هذا تعقيداً معنوياً, ويخرج الكلام بهذا من الفصاحة, وكذلك إذا كان الوصف للموصوف الذي يريده المتكلم يؤدى إلى خلط وفهم موصوف آخر, فهذا تعقيد وصفي, وذلك مثل أن تقول: (ذهبنا لهم ولم يكرمونا فقط سقونا ماءاً أزرقاً) ومراد المتكلم "ماء صافى" وما ذكره من وصف الماء بأنه أزرق مخالف لوصف الماء إذ أن وصف الماء لا لون له, وأزرق إلا أن يكون نوع عصير أي ليس ماءاً صافياً, والماء باللون الأزرق هو من الاكرام وإن كان الماء بغير اللون كذلك اكرام, ولكن ذكر هذا الوصف للماء, جعل هناك خفاء في فهم المعنى المراد بالتعقيد الوصفي, ومثله قول الشاعر عدى بن يزيد:

والمشرق الهيدب يسعى به أخضر مطموثاً بماء الحريص

(الآمدي, 1994, ج1 ص42)

الهيدب: السحاب الممتلئ, مطموثاً: يعنى ممزوجاً, والحريص: سحابة تحرص على وجه الأرض, أي تقشره لشدتها. ويريد الشاعر أن يقول كأن السحاب حوض كبير ((ينبشق فيه الماء ثم يعود إليه, يريد أنه صافٍ بارد.))(ابن قتيبة, 1423, ج1 ص 224), والشاعر هنا وصف الخمر بالخضرة, والخمر العادية ليست خضراء فوصفها لا يدل عليها أو فيه خفاء في الدلالة على الخمر, يقول الآمدى: ((ووصف الخمر بالخضرة وما وصفها بذلك أحد غيره.))(الآمدي, 1994, ج1 ص43), ويقول ابن قتيبة كذلك: ((ووصف الخمر بالخضرة ولم يعلم أحد وصفها بذلك.))(ابن قتيبة, 1423, ج1 ص 224), والخمر كما هو معروف لا لون لها ووصفها بأنها خضراء فيه خفاء وبعد يقول أحمد تيمور: ((ووجه الخطأ وصفه للخمر بالخضرة, وما وصفها بذلك أحد غيره وما كانت العرب تعرف هذا اللون للخمر.))(ابن تيمور, 1950, ص17). وكذلك قال عنه أبو هلال العسكري: ((ومما لم يسمع به قط قول عدى بن زيد... فوصف بالخضرة...))(العسكري, 1419, ص 96). هذا الخفاء الذي أحدثه وصف الخمر باللون الأخضر أحدث تعقيداً وصفياً, أخرج البيت من الفصاحة.

مما أخفى دلالته على المراد بذكر وصف بعيد قول الشاعر أيمن بن خريم يمدح بشر بن مروان:

وإنا قد رأينا أمّ بشر كأمّ الأسد مذكاراً ولودا

قول الشاعر "مذكاراً" يريد أن أمه تلد الذكور, وهى ولود أي كثيرة الأبناء كأم الأسد, ووصفه لأم الأسد بأنها ولود هذا وصف بعيد عنها مخالف لما اعتاد الناس أن يصفوها به, يقول الطرمَّاح :

لنا أم بها قلت ونزر كأم الأسد كاتمة الشكاة

(ابن منظور, 1414, ج1 ص8)

يقول قدامة بن جعفر: ذكر في هذا البيت ما هو إلى أن يكون ذماً أقرب وذلك لأنه جعل أمه ولوداً, والناس مجمعون على أن نتاج الحيوانات الكريمة يكون أعسر ومنه قول الشاعر:

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات نزور

(قدامة, 1302, ص72)

وذكر هذا الوصف لأم الأسد يجد الذهن صعوبة في الربط بين المدح والوصف غير الموجود في الموصوف أصلاً يقول أحمد بن تيمور: ((قالوا أخطأ في أن جعل أم الأسد ولوداً لأن الحيوانات الكريمة عسرة نزرة النتاج.))(ابن تيمور, 1950, ص8) فذكر وصف للموصوف ليس فيه وإنما هو لموصوف آخر يحدث لبساً وتعقيداً في الوصف المراد.

قول التعريف: (لخلل في ايراد وصف لا يكون للموصوف المراد عرفاً ولا عادة...)

الوصف يأتي لتوضيح الموصوف وتقريبه للمخاطب بصفات يفترض أن تكون ثابتة في الموصوف ومعروفة فيه, يقول على الجندي: ((الوصف هو التصوير الحسى الذى يراد منه ادراك الموصوف بإحدى الحواس, ومن المعروف أنَّ الأشياء الحسية أقوى ظهوراً, وأسرع ادراكاً, وأقرب منالاً, ولا تحتاج في ادراكها إلى تعب عقلي, أو كد ذهني.))(الجندي, 1412, ص363).

فإذا احتاج الوصف إلى جهد عقلي أو كد ذهني لربطه بالموصوف يكون هنالك خلل وخفاء يؤدى إلى تعقيد وصفي.

ومثل استخدام وصف لا يكون للموصوف قول الشاعر أبو نواس في الخمر:

كأن بقايا ما عفا من حبابها تفـاريق شيب في سـواد عذار

تـردت بـه ثـم انفـرى عن أديمها تفرى ليل عن بياض نهار

(الخفاجي, 1982, ص 243)

لعل الشاعر أبو نواس في هذين البيتين وصف الخمر بألوان غير ألوانها المعروفة يقول الخفاجي: ((وصف في البيت الأول الحباب بالبياض حيث شبهه بالشيب ولن يشبه الشيب في شيء إلا في بياضه, ووصف الخمر بالسواد حيث شبهها بسواد العذار ثم وصف الحباب في البيت الثاني بالسواد حيث شبهه تفرى الليل وكون كل واحد من الحباب والخمر أسود وأبيض مستحيل.))(الخفاجي, 1982, ص 243) ويذهب قدامة بن جعفر نفس المذهب حيث يقول: ((فالحباب الذى جعله في البيت الثاني كالليل, وهو الذى كان في البيت الأول كالشيب, والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار.. الأبيض والأسود طرفان متضادان وكل واحد منهما في غاية البعد عن الآخر.))(قدامة, 1302, ص 80).

وصف الحباب والخمر بالسواد هذا وصف لا يكون لهما في العادة فكلاهما أبيض, ووصفهما بما ليس لهما يحدث خللاً وخفاء في فهم المقصود, مما يجعل في الكلام تعقيداً وصفياً. ومثله قول الشاعر المَّراد:

وخال على خديك يبدو كأنه سنا البدر في دعجاءَ بادٍ دجونها

فالشاعر أورد أوصافاً مخالفة في العادة لأوصاف موصوفيها حيث وصف الخال بالبياض, ووصف الخدود بالسواد يقول قدامة بن جعفر: ((فالمتعارف المعلوم أن الخيلان سود, أو ما قاربها في ذلك اللون, والخدود الحسان إنما هي البيض, وبذلك تنعت.))(قدامة, 1302, ص84), وذكر صاحب

الصناعتين بقوله: ((ومن عيوب المعنى, مخالفة العرف وذكر ما ليس في العادة.))(العسكري, 1419, ص 96), وهذا ما نسميه بالتعقيد الوصفي, يقول أبو على العلوى: ((والمعلوم أنَّ الخالَ أسودُ, والخد أبيض, فعكس المَّرار جعل الخال كسنا البدر, والخد كالليل سواداً وهذا غير ما جرت به عادة الشعراء في وصف الخال والمعروف كقول عبد الملك الحارثي في وصفه

كأن نقطة بمسك لائمة في بياض عاج

ومثل هذا المعنى في الشعر كثير, ولما أتى المَّرار بما خرق فيه الاجماع وخالف العيان والسَّماع, عدَّه أهل الأدب عيباً عليه وخطأ منه.))(المفضل, 1995, ص85) وهذا العيب الذى ذكره صاحب الكتاب هو عيب التعقيد الوصفي الذى أخل فصاحة البيت.

ومن الخلل في ايراد وصف لا يمكن أن يكون للموصوف لا عرفاً ولا عادة في مقام معين, مثل قول أبو الطيب المتنبي يرثى أم سيف الدولة بن حمدان:

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال

يقول الواحدي في شرحه: ((صلاة الله مغفرته ورحمته يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت وجعل وجهها مكفناً بالجمال, كأن الجمال كفن لوجهها وكأنه يقول رحم الله وجهها الجميل.))(الواحدي, 2005, ص 196). فالشاعر هنا يتحدث ويرثي أم سيف الدولة, ويقول عن وجهها ويصفه وهو في الكفن بالجمال, وهو هنا يذكر وصفاً ما اعتاد الناس ولا في عرفهم وصف وجه الميت في الكفن بالجمال, لعدم استحضار للجمال من المخاطب وهو في هذا المقام, فلا ربط بين الجمال ووجه الميت.

وقد تناول كثير من العلماء والنقاد هذا البيت بالنقد يقول الثعالبي: ((فلا أدرى هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدة ملك يرثيها بالجمال.))(الثعالبي, 2019, ص88), قال ابن رشيق: ((فقالوا: ما له ولهذه العجوز يصف جمالها؟ وقال الصاحب بن عباد: استعارة حداد في عرس.))(ابن رشيق, 1981, ص154) ويذكر لسيف الدولة جمال أمه في حياته غير مقبول دعك من أن يصفها بالجمال وهي ميتة يقول له يوسف البديعي: ((أما استحييت من سيف الدولة))(البديعي, 1308, ج1ص 152). فهذا الخلل والخفاء والخلط والتعقيد الذى جعل ابن عباد يقول: (استعارة حداد في عرس), فهذا أمر معقد خرج بسببه الكلام من الفصاحة.

ومن التعقيد والخفاء استخدام وصف بعيد عرفاً وعادة عن الصفات المرادة التي يتميز بها الموصوف, يقول عبد الله بن قيس الرقيات:

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

الشاعر هنا مدح عبد الملك بن مروان بأن وصف جبينه كالذهب, وهذا وصف جمالي خارجي لا علاقة له بالقدرة على تسيير أمر الدولة التي هي اختصاصه ومهنته التي يريد أن يتفوق فيها, حتى أن عبد الملك نفسه لم يقبل بهذا الوصف وعتب عليه يقول قدامة بن جعفر: ((فوجه عتب عبد الملك: إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن الفضائل النفسية التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة, وما جانس ذلك, ودخل في جملته إلى ما لا يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة... وأن ذلك غلط وعيب.))(قدامة, 1302, ص71), ولم يقبل عبد الملك بهذا الوصف لذلك: ((غضب عبد الملك, وقال: قد قلت في مصعب:

إنما مصعب شهاب من الله تجلَّت عن وجهه الظلماء

فأعطيته المدح بكشف القمم, وجلاء الظلم, وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه, وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذى هو كالذهب في النضارة.))(العسكري, 1419, ص 98), نضارة الجبين وجمالها وصف جمال للإنسان امرأة أو رجل لكن ليس من فضائل أوصاف الملوك وسماتهم, لذلك قال له عبد الملك إن الصفات المناسبة لمدح الملوك هي ما وصفت بها مصعب بن الزبير, يقول المرزباني: ((ودخل في جملته ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة وذلك غلط وعيب.))(المزرباني, 1995, ص283).

وكذلك هذا الوصف الذى قاله ابن قيس الرخيات لعبد الملك ليس من عادة ملوك العرب ولا أعرافهم وضع التاج على رؤوسهم وإنما هي عادة ملوك العجم وصفاتهم وبها يتفاخرون, لذلك ذكرت بعض الكتب أن هذا سبب عدم قبوله بهذا الوصف يقول التنوخي: ((فقال له عبد الملك: يا ابن قيس: تمدحني بالتاج كأني من العجم.))(الفيومي, 1987, ج1 ص 131).

وهذا المدح من ابن قيس الرقيات بذكر هذا الوصف لعبد الملك بن مروان والذى يريد به مكافأة من عبد الملك وما عاد عليه من توبيخ وعدم قبول, سببه استخدام صفات خفى عليه أن هذه الصفات غير مقبولة لا عرفاً ولا عادة لهذا الموصوف لذلك أحدث خللاً فيما يريد المتكلم وفيما فهم المخاطب فأحدث تعقيد وصفياً.

قول التعريف: (كإطلاق وصف المذكر على المؤنث...)

والخفاء الذى ينتج في الكلام لخلل في ذكر صفة للموصوف المراد لا يمكن أن تكون له لا عرفاً ولا عادة من أهم أنواعه اطلاق أوصاف المذكر على المؤنث وهو يجعل الوصف أطلق على غير ما حقه أن يطلق عليه, بقول صاحب المصباح المنير: ((لأن المؤنث لا يوصف بمذكر)), أما إذا كان

الموصوف مذكراً لفظاً ومؤنثاً معنى أو العكس فيمكن في هذه الحال يوصف بالمذكر, كما ورد في القرآن الكريم, قوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾(ق: 11), البلدة لما كانت مؤنثة اللفظ مذكرة المعنى, صحَّ أن توصف بوصف المذكر "بَلْدَةً مَيْتًا" أي بلداً ميتاً, أحياه بهذا الماء الذى نزل من السماء.))(العثيمين, 2004, ص 8)

ومما ليس بذكر أو أنثى يوصف مرة بأوصاف المذكر ومرة بأوصاف المؤنث مثل "البراق" جاء في السيرة الحلبية عن البراق: ((يوصف بالمذكر تارة ويوصف بالمؤنث تارة أخرى, فهي حقيقة ثالثة, ويكون خارجاً من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾(الذاريات: 49), كما خرجت من ذلك الملائكة, فإنهم ليسوا ذكوراً ولا إناثاً.))(الحلبي, 1427, ج1 ص 521).

وكذلك يوصف بالمذكر من يشترك في لفظة المذكر والمؤنث مثل "الغراب" فهو يطلق على المذكر والمؤنث كما قال الشاعر ابن عطية: (("بحيث يعتش الغراب البائض", لأن البيض من الأنثى والذكر.. لا يتعين المراد بالغراب هنا الذكر, لأن لفظ الغراب, يطلق على الذكر والأنثى, وليس مما فرَّق بينه وبين مؤنثه بالتاء.))(ابن حيان, 1420, 524).

ومما جاء على اطلاق وصف المذكر على المؤنث قول طفيل الغنوي:

أم تسائل عـن شمــاء مـا فعلت وما تحاذر من شماء مفعول

إذ هي أحوى من الربعي, حاجِبُهُ والعين بالإثمد الحاري مكحول

(ابن الأنباري, 1424)

أحوى: الأحوى: أسود ليس بشديد السواد, الربعي: ما نتج في الربيع, الحاري: نسبة للحيرة, الشاعر يصف الظبية بأنها جميلة اللون تنتج أفضل النتاج وكحيلة العينين فالشاعر: ((وصف امرأة فجعلها بمنزلة ظبى أحوى, وهو الذى في ظهره وجنبتي أنفه خطوط سود, والحوة السواد.))(القبيسي, 1987, ج1 ص508) الشاعر هنا أطلق وصف المذكر "مكحول" على المؤنث العين, يقول الفراء: ((ولم يقل: مكحولة, والعين أنثي.))(الفراء, 2016, ص 127), والعين اسم مؤنث جاء في اعراب القرآن: ((ولا يعرف الأصمعي في العين إلاَّ التأنيث, قال أبو جعفر وهو الصحيح.))(النحاس, 1421, ج5, ص 132)

واطلاق وصف المذكر "مكحول" على المؤنث "العين" أدى إلي خفاء وتعقيد المعنى بهذا الوصف, حيث كان الأولى أن يطلق على العين وصف مؤنث, يقول السيرافى: ((الشاهد فيه أنه ذكر "مكحول" وهو العين والوجه أن يقول مكحولة.)))السيرافي, 1974, ج1 ص129)

وهذا الوصف بالمذكر للمؤنث أدى لخلل في معرفة الموصوف حتى ذهب بعض العلماء إلى أن المراد غير العين يقول الأصمعي: ((مكحول للحاجب .. لأنه قد قدم ذكره.))(أبو طالب, 2008, ج5 ص 8224), ذكر الأصمعي للحاجب دليل على ايراد وصف للموصوف المراد مخالف له يؤدى إلى ذهاب الذهن إلى موصوف آخر, وهذا خلل يعقِّد المعنى بسبب الوصف "تعقيد وصفي".

ومن اطلاق وصف المذكر على المؤنث قول امرئ القيس:

وإذا هي تمشى كمشي النزيف يصرعه بالكثيب البهرْ

بـرهـرهـةٌ رخصـــةٌ رودةٌ كخرعوبة البانة المنفطر

النزيف: الرجل الذى أصابه العطش, الكثيب: الرمل, برهرهة البرهرهة: هي المرأة الناعمة, كأنها ترعد من النعمة, الرؤدة: الناعمة الرخصة, جارية خرعوبة: الخرعوبة دقيقة العظام ناعمة، وجمل خرعوب: طويل في حسن خلق.

وفي هذا البيت "الثاني" نجد الشاعر أمرى القيس وصف الـ "خرعوبة" المؤنث بوصف المذكر وهو قوله "المنفطر" وكان عليه أن يأتي بوصف مؤنث يقول الأنباري: ((إن الخرعوبة مؤنث اللفظ وكان من حقه أن يقول المنفطرة.))(الأنباري, 2003, ج2 ص 629). فذكر وصف خاص بالمذكر يخفى بعض المعنى ويجعل المتلقي يبحث عن موصوف غير الذى كان يتوقع أن يأتي له الوصف, والذى يريده المتكلم.

ومثله ما جاء قول الشاعر:

هنيئاً لسعد ما اقتضى بعد وقعتي بناقة سَعْدٍ والعَشِيَّةُ بارد

فالشاعر هنا وصف "العيشة" بالمؤنث بوصف "بارد" وهو وصف مذكر لم تلحق به التاء, يقول ابن سيده: ((أما العشية فإنها مؤنثة))(ابن سيده, 1996, ج5 ص149), ووصفها مذكر مما يحدث خللاً في ربط الذهن بين هذا الوصف المذكر والموصوف الذى يذهب إليه ذهن المخاطب خاصة إذا وجد في الكلام ما يحتمل أن يكون مراداً بهذا الوصف, يقول ابن الانباري: ((العَشِيَّةُ بارد, حيث أخبر عن العَشِيَّةُ وهى مؤنثة ببارد, وأسقط تاء التأنيث, وقد علمنا أن لحاق تاء التأنيث في مثل هذا الموضع واجب, سواء أكان المؤنث الذى هو مرجع الضمير المستتر هنا في الوصف حقيقي التأنيث أم كان مجازى التأنيث.))(الأنباري, 2003, ج2 ص 633)

أي أن وصف المؤنث لا بد أن يكون مؤنث كما ذكر ابن الأنباري, فمجيء الوصف مذكراً لموصوف مؤنث بخلق خفاء وخللاً لأنه على غير المشهور وعلى غير العادة والعرف لذلك يُعقِّد المعنى وسببه الوصف لذلك يسمى تعقيد وصفى. ومنه قول الشاعر:

قـامت تبكـيه على قبـره من لي من بعدك يا عامر

تركتني في الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصـر

(ابن سيده, 2000, ج2 ص 152)

البيتان لامرأة قامت تبكى على قبر من فقدت وتنشد شعراً منه هذين البيتين, فمن موضوعهما وحال شاعرتهم وبكائها على فقيدها, يقود إلى الاستشهاد بقولها "تركتني في الدار ذا غربة" وهي أنثى وصفت نفسها بوصف المذكر "ذا غربة" كان يجب أن تقول "ذات غربة" وصف مؤنث على القياس وعلى العادة وعلى ما تعارف الناس عليه. يقول صاحب الأصول : (الشاهد "ذا غربة" والقياس أن يقول "ذات غربة".), ويقول أبو البركات الأنباري: ((ومحل الاستشهاد قوله: "ذا غربة" فإنه كان ينبغي – لو أنه أجرى الكلام على ما يقتضيه اللفظ – أن يقول "ذات غربة" لأن الحديث على لسان امرأة, بدليل قوله "قامت تبكيه".))(الأنباري, 2003, ج2 ص 414)

قول التعريف: (... ووصف المؤنث على المذكر...)

هذا النوع الثاني من أنواع التعقيد الوصفي وهو أن تطلق وصف حسب العادة والعرف هو للمؤنث على المذكر مما يحدث تعقيداً يحدث خللاً في معرفة المراد له الوصف, لأن الوصف لابد فيه من توخى الدقة والصدق في رسم الواقع يقول قدامة بن جعفر: ((ما أحسن ما قال عمرو بن الخطاب رضى الله عنه في وصف زهير حيث قال: "إنه لم يكن يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال فإن في هذا القول, إذا فهم وعمل به, منفعة عامة, وهي العلم بأنه إذا كان الواجب أن لا يمدح الرجال إلا بما يكون لهم وفيهم, فكذا يجب أن لا يمدح شيء غيرهم إلا بما يكون له وفيه, وبما يليق به ولا ينافره.))(قدامة, 1302, ص 20)

ومن أمثلة اطلاق وصف المؤنث على المذكر قول الشاعر المتلمس:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

(ابن العبد, 2002, ص5)

ناج: الناجي: البعير الخفيف الذى ينجو بصاحبه من المهالك, الصيعرية: هي سمة أو قلادة توضع في عنق النوق, يقول ابن سيده: ((والصيعرية سمة في عنق الناقة خاصة لم تكن يوسم بها إلا النوق.))(ابن سيده, 2000, ج1 ص 4331)

الصيعرية صفة تكون للناقة ولا تكون للجمل فهو قال بـ "ناج" وهو مذكر لكن الصيعرية تكون للمؤنث عند أهل اليمن فقط, لذلك عندما سمع طرفة خاله الشاعر ينشد هذا البيت عرف أن هذا الوصف لمؤنث وأن ما ينجو به الشاعر بعير لذلك قال مقولته التي صارت مثلاً ولنا أصبحت قاعدة منها ومن أشباهها نستخرج التعقيد الوصفي, جاء في ديوان طرفة: {طرفة} سمع خاله المتلمس مرة يقول البيت فقال طرفة: "استنوق الجمل" لأن الصيعرية سمة للنوق فضحك القوم وغضب خاله ثم قال: ويل لهذا الفتى من لسانه.))(ابن العبد, 2002, ص5).

وهذا البيت الذى رآه طرفة عندما سمع خاله بأن جعل المذكر صفة المؤنث, وهذا أمر لا يكون عادة ولا عرفاً بل يؤدى إلى خلل وخفاء في ما المراد منه بهذا الوصف حتى أن الكميت جعله الوصول إلى غير الفصيح:

مدحتكم فأفرطت في مدحكم حتي جعلت المؤنث مذكراً

(ابن قتيبة, 1949, ج1 ص 575)

وجاء في لسان العرب: ((أي أنك كنت في صفة جمل, فلما قلت الصيعرية إلى ما توصف به النوق يعنى أن الصيعرية سمة لا تكون إلا للإناث وهي النوق.))(ابن منظور, 1414, ج4 ص457) فالشاعر هنا استخدم وصف المؤنث "صعيرية" معروف عادة من سمات المؤنث, استخدامه لمذكر وهو "ناج" مخالفاً العرف ليعقد البيت تعقيداً وصفياً.

ومن التعقيد الوصفي قول طرفة:

ولا خير فيه غير أن له غنىً وإنَّ له كشحاً إذا قام أهضما

(ابن العبد, 2002, ص6)

كشحاً: الكشح من لدن السرة إلى المتن ما بين الخاصرة إلى الضِلع الخلف, الأهضم: الرقيق. فالشاعر هنا وصف ابن عمه عيد عمرو بن بشير أن له كشحاً أهضماً وهذا الوصف يقال للنساء فقط ولا يقال للرجال ((وكان من أفحش الهجاء عند العرب أن تصف رجلاً بوصف النساء, فكيف بصهره صاحب الخصر النحيل الذى يشبه خصور النساء.))(ابن العبد, 2002, ص 6).

ووصف المذكر بأوصاف المؤنث يؤدى إلى خلل في قبول الذهن له لأن هذه الأوصاف لا تكون للمذكر لا عادة ولا عرفاً, لذلك جرَّت هذه الأوصاف على من قالها الموت وقتل بسببها, جاء في الشعر والشعراء: ((كانت أخت {طرفة} عند عمرو بن بشير بن مرشد, وكان عيد عمرو سيد أهل زمانه فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها إليه فقال: {قصيدة منها هذا البيت} فبلغ عمرو بن هند الشعر فخرج يتصيَّد ومعه عبد عمرو: انزل إليه, فنزل إليه فأعياه, فضحك عمرو بن هند وقال: لقد ابصرك طرفة حيث قال "ولا عيب" البيت!... فقال عبد عمرو: أبيت اللعن, الذى قال فيك أشد مما قال فيَّ, قال:

ليت لنا مكان الملك عمرو رغوثاً حول قبتنا تخور

وقد بلغ من أمره هذا؟ قال: نعم. فأرسل إليه, وكتب إلى عامله بالبحرين فقتله.))(قتيبة, 1423, ج1 ص 183)

ومن وصف المذكر بأوصاف المؤنث قول الفرزدق في هجاء جرير:

مما تأمروا عبد الله أسألكم بشاعر حوله درجان مختمر

درجان: الدرج هو وعاء توضع النساء طيبهن, مختمر الاختمار وهو لبس النساء "مختمرة", فالشاعر الفرزدق هنا وصف جرير بما توصف به النساء عادة فإن الردجان أو الحق هو مما تستخدمه النساء فقط ولا يطلق على من يستخدم هذا الحق إلا إذا كان من النساء, وكذلك الخمار مخصص للبس النساء فهن من يوصفن بذلك, لذلك عقَّد الفرزدق بهذه الأوصاف هذا البيت تعقيداً وصفياً.

هذان النوعان اللذان ذكرناهما للتعقيد الوصفي اطلاق وصف المذكر على المؤنث, ووصف المؤنث على المذكر هما الأكثر وروداً, والتعقيد فيهما أوضح ولبعد قبولهما لا عادة ولا عرفاً كذلك لا تقبلهما الطبيعة القويمة.

قول التعريف: (... وكإرجاع ضمير المذكر للمؤنث...)

ومما يؤدى الخفاء والخلل في معرفة ما يرجع إليه الضمير, أن يرجع ضمير المذكر إلى المؤنث, مثل أن تقول: "أخبرت الطالبة بنجاحه في الامتحان" فإن الضمير المذكر "الهاء" في كلمة "بنجاحه" الراجع إلى المؤنث "طالبة" فيه خلل واضح بل ويجعلك تبحث عن ما يرجع إليه هذا الضمير كأنه قد أخفى عليك, وعندما لا تجد ما يرجع إليه ضمير المذكر غير المؤنث "الطالبة" فكأنه جعلها مذكراً.

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر أبو الجراح:

يا صاح بلغ ذوى الزوجات كلهم أن ليس وصلٌ إذا أنحلت عُرا الذنب

(الأزهري, 2001, ج11 104)

هنا أرجع الضمير "هم" للمذكر في كلمة "كلهم" ارجعه إلى المؤنث "الزوجات", وهذا فيه خفاء وخلل لأن ضمير المذكر لا يرجع للمؤنث, يقول ابن هشام: ((يجوز أن يكون تأكيداً للزوجات, فيكون جره على القياس, ويكون قد استعمل ضمير المذكر للمؤنث.))(ابن هشام, 2001, ج1 ص427) ففي الكلام خفاء بسبب ارجاع ضمير المذكر للمؤنث حتى أنه ليتردد المخاطب في ارجاع الضمير إلى المؤنث الزوجات, وبالفعل بعض العلماء تردد في ذلك, لأنه كان ينبغي للشاعر أن يقول "كلهن", يقول ابن هشام: ((كان عليه أن يقول "كلهن" لأنه تأكيد للزوجات ولكنه قال "كلهم".))(ابن هشام, 2001, ج2 ص589) ولأنه جعل هذا الضمير المختص بالمذكر للمؤنث فكأنه جعل صفات المذكر للمؤنث لذلك الخلل فيه يسمى تعقيد وصفي.

ومثله قول الفرزدق:

يفلقن هامن لم تنله سيوفنا بأسيافنا هام الملوك القماقم

(القالي, 1926, ج1 ص270)

هامن جمع هامة وهي مؤنثة.

الشاهد: في أن الشاعر أرجع ضمير المذكر "الهاء" من قوله "تنله" إلى المؤنث "هامن" وهذا فيه خفاء وخلل حتى قال البعض بتذكر الهام مع أنها مؤنثة يقول أبو على القالي: ((الهام مؤنثة لم يؤثر عن العرب فيها تذكير))(القالي, 1926, ج1 ص270) فإرجاع ضمير المذكر "الهاء" للمؤنث "هامن", جعل في البيت تعقيد في فهم معنى البيت.

قول التعريف: (...وإرجاع ضمير المؤنث للمذكر...)

ومن ذلك قول الشاعر أحمد الحفظي الثاني:

طلب التلطف والترحم سيدى منكم وأما الغير لا أرض لها

الشاهد في قوله "وأما الغير لا أرض لها" حيث أرجع ضمير المؤنث "الهاء" إلى المذكر "الغير" فأخفى المعنى وعقَّده يقول على مصطفى صبح: ((وإذا كان كذلك فيكون الغموض واقعاً لا يقف عليه القارئ بيسر, وذلك لا بسبب صورة شعرية موحية تبهره لوقت ما, ... ولكن بسبب التعقيد في التركيب, حيث جعل الشاعر التلطف والترحم عند غير الله لا أرض لها...و التقدير لا أرض له.))(صبح, 1984, ص

61). هنا في هذا البيت أرجع الشاعر ضميراً مؤنثاً على مذكر, مخفياً مراده, مما عقَّد البيت تعقيداً وصفياً.

قول التعريف: (... بدون قرينة توضح المراد)

أي: أن التعقيد الوصفي يأتي في الكلام إذا لم تكن فيه قرينة تدل على أن الوصف مقصود به الموصوف الذى يريده المتكلم, مثل قول الشاعر غازي القصيبي:

وذراعك الممدود يسألني قبل الترحل ضمة أخرى

(أبو عمرو, 2009, صفحة في الشبكة)

وصف الشاعر "الذراع" – وهو يذكر ويؤنث – بالممدود وهو وصف مذكر, وهو بذلك ذكره, وجاء وعاد بقرينة تؤكد أنه مذكر وهي قوله "يسألني" ولو كان مؤنث لقال "تسألني" جاء في الصحاح: ((ذراع اليد يذكر ويؤنث))(الجوهري, 1987, ج3 ص 1209) بما أن "ذراع" يذكر ويؤنث فاستخدام وصف المذكر له يحتاج إلى قرينة حتى يثبت أنه مذكر, فذكر القرينة هنا أبعد "التعقيد الوصفي" وأزال أي خفاء أو خلل.

هذه الأنواع الأربعة التي ذكرها التعريف للتعقيد الوصفي, هي التي فصلناها وأوردنا لها الشواهد, لكن هناك بعض الأنواع ملحقة بالتعقيد الوصفي لدخولها معه في التعريف في بعض جوانبه.

مما يلحق بالتعقيد الوصفي:

إطلاق ضمير المفرد على الجمع, وإطلاق ضمير الجمع على المفرد, وذلك لوجود خلل وخفاء فيهما كما في أنواع التعقيد الوصفي, يقول ابن الأثير: ((وذلك كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث, وتصوب معنى الواحد للجماعة, والجماعة للواحد, وحمل الثاني على لفظ الأول, أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً, وغير ذلك.))(ابن الأثير, 1375, ص 108), وذلك مثل قول ذي الرِّمة:

وميَّه أجمل الثقلين وجهاً وسالفة وأحسنه قذالا

(ابن الأثير, 1375, ص 107)

فإن الشاعر هنا أرجع ضمير المفرد "الهاء" من "أحسنه" إلى الجمع أهل "الثقلين" مع عدم وجود مانع يمنع ذكر ضمير الجمع فيقول "احسنهم" فأفرد الضمير مع قدرته على جمعه, وهذا الخلل يمكن أن يلحق بالتعقيد الوصفي.

ومما يلحق بالتعقيد الوصفي: ما يمكن أن نسميه بالتعقيد الإشاري

وهو استخدام أداة إشارة المذكر للمؤنث, أو أداة إشارة المؤنث للمذكر, وذلك مثل قول الشاعر رويشد بن كثير الطائي:

يأيها الراكب المزجى مطيته سائل بني أسدٍ ما هذه الصوت

(المرزوقي, 2003, ص 124)

أشار بإشارة المؤنث "هذه" للمذكر "الصوت" فقال "هذه الصوت", ويقول عبد القادر البغدادي: ((سائل بنى أسد ما هذه الصوت إنما أنثه لأنه أراد الاستغاثة. وهذا من قبيح الضرورة أعنى تأنيث المذكر لأن التذكير هو الأصل.))(ابن الأثير, 1375, ص 106)

وهذا الخفاء الذى نتج منه استخدام اسم إشارة المؤنث للمذكر, مثل الخلل والخفاء من اطلاق وصف المؤنث على المذكر لذلك يمكن أن يلحق بالتعقيد الوصفي.

الخاتمة:

بحمد الله هذه دراسة "عيب التعقيد الوصفي" أحد أقسام عيوب التعقيد, التي ذكرها العلماء في بداية حديثهم عن عيوب فصاحة الكلام, وقد فصَّل العلماء اللاحقين في عيبين من عيوب التعقيد وهما التعقيد المعنوي والتعقيد اللفظي, وأوردوا عليها كثيراً من الشواهد, لكن تبقى شواهد من التعقيد ليس للفظي ولا المعنوي, فرأينا أن نجمعها في عيب ثالث هو "التعقيد الوصفي" وقد تناولناه بالتعريف وتفصيل التعريف مستدلين بالشواهد من الشعر العربي وكلام العرب, متبعين المنهج الوصفي التحليلي, وقد توصلت الدراسة كم النتائج منها:

1-إنَّ التعقيد فيه عدد من عيوب فصاحة الكلام.

2-بعض العلماء يضع التعقيد الوصفي كجزء من التعقيد المعنوي.

3-إنَّ التعقيد الوصفي هو قسم من أقسام عيب التعقيد.

4-إنَّ التعقيد الوصفي له كثير من الشواهد في كلام العرب, وفي الشعر العربي في كل عصوره.

5-إنَّ التعقيد الوصفي غيب أصيل من عيوب فصاحة الكلام.

وخرجت الدراسة بعدد من التوصيات منها:

1-قيام دراسة مفصَّلة عن الفصاحة.

2-قيام دراسة موسَّعة ومفصَّلة لعيوب فصاحة الكلام.

3-دراسة عيوب التعقيد بالتفصيل.

4-قيام دراسة موسَّعة للتعقيد الوصفي.

5-البحث عن أقسام أخرى للتعقيد.

المراجع والمصادر:

القرآن الكريم

1. أبو حيان, محمد بن يوسف بن حيان, (1420),(البحر المحيط في التفسير), المحقق: صدقي محمد جميل, الناشر, ط1, بيروت, دار الفكر.

2. أبو عمرو, حسانين أبو عمرو, (2009) , وصف المؤنث بالمذكر, شبكة الفصيح.

3. ابن الأثير, أبو الفتح ضياء الدين محمد عبد الكريم الشيباني, (1475), الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور, المحقق: مصطفى الجواد, الناشر: مطبعة المجمع العلمي.

4. ابن دريد, أبو بكر محمد بن الحسين, (1987), جمهرة اللغة, تحقيق: رمزي منير البعلبكي, ط1, بيروت, الناشر: دار العلم للملايين.

5. ابن هشام, جمال الدين بن هشام, (1422), شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب, سوريا, الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع.

6. ابن منظور, محمد بن على أبو الفضل جمال الدين,(1414), لسان العرب, ط3, بيروت, الناشر: دار صادر.

7. ابن سيده, أبو الحسن على بن اسماعيل, (2000), المخصص, المحقق: خليل إبراهيم, ط1, بيروت, دار احياء التراث العربي.

8. ابن سيده, أبو الحسن على بن اسماعيل, (2000),المحكم والمحيط الأعظم, تحقيق: عبد الحميد هنداوى, ط1, بيروت, الناشر: دار الكتب العلمية.

9. ابن فارس, أحمد بن فارس بن زكريا القزويني, (1979), معجم مقاييس اللغة, تحقيق: عبد السلام هارون, الناشر: دار الفكر.

10. ابن فارس, أحمد بن فارس بن زكريا القزويني, (1986), مجمل اللغة, تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان, ط2, بيروت, الناشر: مؤسسة الرسالة.

11. ابن قدامة, قدامة بن جعفر بن قدامة, (1302), نقد الشعر, ط1، قسطنطينة, الناشر: مطبعة الجوائب.

12. ابن قتيبة, أبو عبد الله بن مسلم الدينوري, (1423),الشعر والشعراء, القاهرة, الناشر: دار الحديث.

13. ابن قتيبة, أبو عبد الله بن مسلم الدينوري, (1949), المعاني الكبير في أبيات المعاني, تحقيق: سالم الكرنوكي وآخرون, ط1, حيدر أباد الدكن, الناشر: مطبعة دار المعارف العثمانية.

14. ابن رشيق, أبو على الحسن بن رشيق القيرواني, (1981), العمدة في محاسن الشعر وآدابه, تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد, ط5, الناشر: دار الجيل.

15.ابن تيمور, أحمد بن اسماعيل بن محمد, (1915), أوهام الشعراء, ط1, القاهرة, مؤسسة هنداوي.

16. الأزهري, محمد بن أحمد بن الأزهري, (2001), تهذيب اللغة, تحقيق: محمد عوض مرعب, ط1, بيروت, الناشر: دار إحياء التراث العربي.

17. الآمدى, أبو القاسم بن بشر الآمدى, (1994), الموازنة بين أبي تمام والبحتري, تحقيق: السيد أحمد صقر, ط4, نشر: مكتبة الخانجي.

18. الأنباري, عبد الرحمن بن محمد بد عبيد الله, (2003), الانصاف في مسائل بن النحويين البصريون والكوفيون, ط1, بيروت, الناشر: المكتبة العصرية.

19. البديعي, يوسف البديعي الدمشقي, (1308), الصبح المنبى عن حيثية المتنبي, ط1, الناشر: المطبعة العامرة الشرقية.

20. البكري, طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري, (2002), ديوان طرفة, تحقيق: مهدى ناصر الدين, ط3,بيروت, الناشر: دار الكتب العلمية.

21. الجاحظ, عمرو بن بحر بن محبوب, (1423), البيان والتبيين: أبو عثمان, بيروت, الناشر: دار ومكتبة الهلال.

22. الجوهري, أبو نصر إسماعيل بن حماد, (1987), الصحاح في تاج اللغة وصحاح العربية, تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار, ط4, بيروت, الناشر: دار العلم للملايين.

23. الجندي, على الجندى, (1991), في تاريخ الأدب الجاهلي: , الناشر: مكتبة دار التراث.

24. الجرجاني, أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن, (1998), أسرار البلاغة, الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة, دار المدني بجدة.

25. الهاشمي, أحمد بن إبراهيم بن مصطفي, (1999), جواهر البلاغة في المعاني والبيان البديع: السيد الهاشمي, تحقيق: يوسف الصميلي, بيروت, الناشر: المكتبة العصرية.

26. الحلبي, على بن ابراهيم بن أحمد, (1427), السيرة الحلبيةط2, بيروت, الناشر: دار الكتب العلمية.

27. المرزباني, أبو عبد الله بن عمران المرزباني, (1995), الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء, تحقيق: محمد حسين شمس الدين, بيروت, الناشر: دار الكتب العلمية.

28. المرزوقي, أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني, (2003), شرح ديوان الحماسة, المحقق: غريد الشيخ, ط1, بيروت, الناشر: دار الكتب العلمية.

29. السيرافي, يوسف بن أبى سعيد, 1974), شرح أبيات سيبويه, تحقيق: محمد على الريح, القاهرة, الناشر: مكتبة الكلية الأزهرية, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة.

30. السكاكي, يوسف بن أبي بكر ين محمد السكاكي أبو يعقوب, (1987), مفتاح العلوم, تحقيق: نعيم زرزور, ط2, بيروت, الناشر: دار الكتب العلمية.

31. سعيد, نشوان بن سعيد اليمني, (1999), شمس العلوم ودواء كلام العرب, تحقيق: حسين العمرى وآخرين, لبنان وسوريا, الناشر: دار الفكر.

32. عبد القادر, محمد بن أبي بكر عبد القادر, (1999), مختار الصحاح, تحقيق: يوسف الشيخ محمد, ط5, بيروت, صيدا, الناشر: المكتبة العصرية, الدار النموذجية.

33. العسكري, أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد, (1419), الصناعتين, تحقيق: على محمد البجاوي وابو الفضل إبراهيم, ط5, بيروت, الناشر: دار الجيل.

34. العثيمين, محمد بن صالح بن محمد, (2004), تفسير الحجرات, ط1, الرياض, الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع.

35. الفيومي, أحمد بن على الفيومي, (1987), الصبح المنير في غريب الشرح الكبير, بيروت, الناشر: المكتبة العلمية.

36. الفراء, أبو زكريا يحيي بن وياد بن عبد الله, (2016), معاني القرآن, تحقيق: أحمد التجاني وآخرين, مصر, الناشر: الدار المصرية.

37. الفراء, زكريا محمد بن أحمد بن زكريا, (2001), اعراب القرآن العظيم, تحقيق: د. موسى على موسى, ط1.

38. الفراهيدي, الخليل بن أحمد بن عمرو, (2007), كتاب العين, تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي, الناشر: دار ومكتبة الهلال.

39. صبح, على على صبح, (1984), المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية: المؤلف, ط1, الناشر: تهامة, جدة, المملكة العربية السعودية.

40. القالي, اسماعيل بن القاسم بن عيذون, (1926), الأمالي, تحقيق: محمد عبد الجواد, دار الكتب المصرية.

41. القيسي, أبو على الحسن بن عبد الله, (1987), ايضاح شواهد الايضاح, تحقيق: محمد الدعجاني, ط1, بيروت, لبنان, الناشر: دار الغرب الإسلامي.

42. القيسي, أبو على الحسن بن عبد الله, (2008), الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه, تحقيق: الشاهد البوشيخي, ط1, الناشر: جامعة الشارقة.

43. القلقشندي, أحمد بن على بن أحمد القلقشندي, (1922), صبح الأعشى في صناعة الإنشاء, بيروت, الناشر: دار الكتب العلمية.

44. الثعالبي, عبد الملك بن محمد بن اسماعيل, (2019), أبو الطيب المتنبي ما له وما عليه, المحقق: محمد محى الدين عبد الحميد, القاهرة, الناشر: مكتبة الحسين التجارية.

45. الخفاجي, عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان, (1982), سر الفصاحة, ط1, بيروت, الناشر: دار الكتب العلمية.